تمثلت في فشل ايديولوجية حزب العمل، الذي دعا ورفع شعارات «اسرائيل العاملة» و«الاشتراكية» و«حياة الرفاهية والرخاء والسلام»، الخ. وانقلب كل ذلك، ليظهر الوجه البشع: مبادىء جامدة لم تتماش مع الحياة الواقعية، وفشل في التطبيق، ونجاح الليكود.

ان الخيبة الكبيرة سجلّت في رواية «نهاية امر»: البلاد لم تعد البلاد التي كانت، او التي من المفروض ان تكون. والشخصيات تعيش في «غيتو»، مع انها تعيش في «بلادها»؛ فالمكان منغلق عليها اكثر واكثر؛ وعلى هذه الشخصيات ان تدأب في البحث عن مبررات لوجودها. حتى ان الخروج من المكان المغلق يشكّل خطراً: فقد يلتقي الواحد مع الغرباء الخطرين، او العرب، والعودة الى البيت (المكان الخانق) محتّمة. لذلك، بلغ تذمّر الام اقصاه في الرواية: «بعد خمسين سنة معيشة في البلاد احسّت بها ان نفسها غريبة ومقتلعة، وبالاساس منذ استلم التنقيحيون مع بيغن السلطة. ففي الحقيقة، لا تجد لنفسها زاوية، وكانت ستكون سعيدة لتنصرف من هنا الى اي مكان. وبلهجة متعكرة جداً، قالت: ' هذه ليست بلادي بعد ' »[٣٠]. حالة من الاغتراب والاختناق والتعفّن يعاني الابطال منها. والحل؟

مع ان شبتاي لم يقترح حلاً، وانما قدّم الينا وضعاً خانقاً، فاننا نرى ان الصهيونية فشلت في تحقيق حالة سلم على المستوى الفردي، وعلى المستوى العام (هذا امر واضح لنا، لكنه بمثابة صدمة لشبتاي وللكتّاب الصهيونيين الآخرين). ومن الواضح، ان الصهيونية نجحت في تأسيس «وطن» ليهود الشتات على اراضي فلسطين والفلسطينيين، الّا انها لم تنجح في حل تفاصيل الحياة اليومية، بعد اقامة «الوطن». وفي رأيي، ان كل ما كتبه شبتاي، مع انه لم يقصد ذلك، يدلّل على فشل الصهيونية على صعيد الحياة هنا: المكان يضيّق عليهم بسبب توسعية وعدائية الايديولوجية (ومؤدلجي) الصهيونية، والناس يعانون ويختنقون من كل التضييقات؛ وذلك بسبب الحرب والاحتلال.

نظرة عامة

في ثلاث كتب، وخلال ٤٧ سنة من الحياة والكتابة، استطاع الكاتب العبري شبتاي ان يقدّم الينا تجربة ذاتية ـ روائية صادقة، انطلقت من الخاص الى العام، لتدلّل، في النهاية، عفوياً، على الازمة الخانقة التي تمرّ بها ممارسات الحركة الصهيونية. وستبقى كتابات شبتاي تحدياً صعباً لدى الساسة للعثور على حل يلائم طبيعة المنطقة. فالاسرائيلي لا يستطيع الاستمرار في العيش في مكان مغلق يكاد يخنقه ويدّمر طموحاته. على السياسة ان تفتح المكان وتخلق امكانات جديدة. ومعنى ذلك ـ مع امكانية ان شبتاي لم يقصد ذلك ـ امّا الابقاء على الصهيونية كسياسة توسعية حربية مدّمرة وتحافظ على الناس في مكان اشبه بالغيتو، وامّا الانفتاح، او التخلي عن السياسة الصهيونية وعيش اسرائيل بسلام مع العالم العربي في الشرق الاوسط.

قد يبدو تحليلنا اعلاه خروجاً على سياق النص؛ الّا ان قراءة مدققة لاعمال شبتاي تبدي وتظهر عمق الازمة التي يحياها المجتمع الاسرائيلي، نتيجة السياسة الصهيونية التي تخلق جواً بغيضاً وكريهاً وعدائياً. لقد سجّل شبتاي وصيّته الادبية (اعماله الثلاثة) بناءً على تجربته الذاتية ومراقبته، اضافة الى إعمال احساسه وتجاربه وثقافته لرؤية حل شافٍ للوضع القائم.

ومع ان احداث الكتب الثلاثة دارت، في معظمها، في تل ـ ابيب؛ الّا انها اكدت ان الاختناق نابع من تفاقم السياسة التي اتبعها حزب العمل، والليكود فيما بعد. لقد استطاع الحزبان ان